تشاؤم مشروع

و نحن نقلب شاشات التلفاز ، خاصة في هذا الشهر الكريم نرى الكثير من المسلسلات الحديثة الدائرة أحادثها في فلك الماضي المنصرم ،

نعشق الماضي بكل ما فيه ، بشخوصه و أمكنته و أثاثه و مشاعره و حبه البريء الصادق..

ترى ما السر في ذلك العشق ؟ هل استحضار الماضي اليوم يرمرم بعض ما دمرته فينا حضارة اليوم ؟

هل استحضار الماضي يعيد فينا التوزان و الاستقرار النفسي ؟

إن أغلب قنوات اليوم في تسابق مستميت لإخراج ذلك الأرشيف العريق عن ذلك الزمن الجميل ،

ترى هل كان في يدور في خلد مقدم هذه الأعمال الفنية و البرامج الاجتماعية و الثقافية و الدينية بالأمس القريب أن يعاد عرض أعماله اليوم و يعيش بيننا بصوته و صورته ، كما كان قبل خمسين سنة ؟!

الإنسان مخلوق معقد ، و لذا يعشق البساطة ، إن في خلد كل منا خوف عميق و نفور ما بعده نفور من تبعات هذا التقدم المذهل و الحضارة السحرية ، خوف من الفقد و الرحيل و النهاية و الموت .

قال تعالى تعالى " حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت و ظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ...الآية "

لذا نخاف و نرهب من كل تطور و تقدم لأنه يقودنا إلى النهاية ، و نعود للماضي و نتشبث به .

إنه الاكتئاب العام الذي يلف عالم اليوم ، في كل شبر من هذه الكوكب

لذا نجد الكثير من الدعوات إلى التامل و عيش الحاضر و اللحظة الراهنة ، لكن حاضر اليوم لا يساعد على التأمل بل يحرق الحياة حرقا سريعا ، يحرق السعادة و الحزن ، إن حاضرة اليوم حضارة غير مدركة ،

يعود الإنسان إلى الماضي لأن الحاضر لم يعد يسعده ، رغم إنجازاته السحرية الخلابة ، و تقنياته التي تفوق الخيال ، خاصة عالم الاتصال و الصورة ،

نعم لقد أسرفت علينا حضارة اليوم و أغدقت علينا بمنحزاتها لدرجة اننا اصبحنا نمتلك الماضي و الحاضر في نفس اللحظة و نتنبأ بالمستقبل بدقة عالية

إن عودتنا للماضي و إصرارنا عليه ينم عن إلحاح داخلي للعيش مع إنسان ذلك الزمان الذي رحل عن عالمنا

نرجع للماضي لنفتش عن ذلك الإنسان البسيط عن طيبته و سذاجته و حمقه و حلمه الواسع رغم صغر العالم الذي كان يعيش فيه ،

نفتش عن إنسان يندهش لاتفه شيء و يضحك من كل قلبه لأبسط نكتة يسمعها ، و يندهش من كل فكرة يقرأها ،

و يرقص و يتناغم من كل موسيقى يسمعها ، و يحب بقلبه لا بعقله ، و يعشق بأذنه قبل عيونه ، نفتش عن الإنسان الذي لم تشوهه مدنية اليوم ، كلنا يحن إلى ذلك الإنسان الذي دمرناه بأنفسنا ، إن بنا لشوق عارم إلى إعادة ذلك الإنسان إلى عالم و لو كان عن طريق الصوت و الصورة ..

نفتش عن الطفل الذي بداخلنا ، نفتش عن ذلك الطفل لأن حضارتنا اغتالت اطفالنا و سرقة منهم ضحكتهم و دهشتهم و لهوهم ..

و ها نحن اليوم نهتم بتوثيق حياتنا عن طريق الصوت و الصورة ، لأننا ندرك ان الماضي اجمل من الحاضر ، ان الماضي أصدق من الحاضر ، و أن جنة أبينا آدم خير حضارتنا ،

إن إنسان الأمس كان مشغولا بمعاشه و لقمة عيشه ، مشغولا بحقله و بناء بيته ، كان حياته عبارة عن تأمل عميق في الحياة ، نعم تأمل يقطع عنه ضجيج التفكير الموحش في الوجود ، و ينتشله من فراغ الوحدة

أما إنسان اليوم فقد أعياه التفكير في الوجود و الإله و الأديان ، يصبح مؤمنا و يمسي كافرا